مجلة القرطاس
تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية ISSN 3135-4564
https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index مجلة علمية محكمة نصف سنوية

المشـــــــروع الحضاري فـــي فلسفة مالك بن نبي (ت: 1973م)

أ. أحمد عليّ عيســـــــــى سعد
قسم: الفلسفة والدراسات الإسلامية ــ شعبة الفلسفة
0009-0000-9630-8437

تاريخ الاستلام 12 / 6/ 2026م تاريخ القبول20 / 8/ 2026م

The Civilizational Project in the Philosophy of Malik (Bennabi (d. 1973

by Ahmed Ali Issa Saad
Department of Philosophy and Islamic Studies – Philosophy Division

Abstract

This research explores the concept of civilization according to Malik Bennabi, its importance, components, and the role of religion in its development. It also examines the stages of civilization and its conditions as presented in his writings. Furthermore, the research addresses various approaches to civilization development, such as the ethical, aesthetic, and effective approaches. Finally, the research presents the most significant findings of this study.

Keywords: Civilization according to Malik Bennabi - Factors contributing to the emergence of civilization - Religion and civilization according to Malik Bennabi.

الملخـــــــــــص:

يتناول البحث مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي، وأهميتها، ومكوناتها، ودور الدين في بناء الحضارة، وأيضاً يتناول الموضوع أطوار الحضارة، وشروطها كما جاءت في مؤلفاته، كما يتناول البحث التوجهات المختلفة في بناء الحضارة مثل: التوجه الأخلاقي، والتوجه الجمالي، والفاعلية، وفي ختام البحث أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها خلال تلك الدراسة.

مفـاتيح الدراسـة: الحضـارة عنـد مالـك بـن نبـي- عوامـل نشـأة الحضـارة - الـدين والحضارة عند مالك بن نبي.

المقدمة:

يُعدُّ مالك بن نبي (ت: 1973م) من أعلام الفكر الإسلامي العربي في القرن العشرين، بل يعد من أهم فلاسفة علم الاجتماع بعد ابن خلدون(ت: 808هـ - 1406هـ)، وممّا لاشك فيه أنّ الانطلاق من رصد الإنتاج الفكري لعطاء المسلم المعاصر يمدنا بمستويين:

الأول: يتجاوز مرحلة التخلف الحضاري ونفيها، والمستوى.

الثاني: يكشف لنا محاولات لتحقيق الوحدة الإسلامية، وارتباطها بالكيان الحضاري للأمة الإسلامية

وعلى ذلك، فالبحث في دلالات حركة الفكر الإسلامي المعاصر بحث في الذات الحضارية الإسلامية أساسًا؛ وذلك بهدف استيعاب تلك الدلالات، واستقصاء آفاقها وتطورها.

ومن ثم تأتى هذه الدراسة في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي، لنكشف برؤية موضوعية إسهاماته في البناء الحضاري، ومدى فهم الواقع من خلال مؤلفاته المختلفة، واستيعاب وجهته من خلال الأصول الإسلامية التي صاغت وبلورت الموقف الإسلامي الحضاري، والكشف عن معوقات النهضة الحضارية، وتخلفها عن الغرب، والكشف عن أسبابها من خلال مؤلفاته المختلفة، وتناول ما قدمه من حلول لتجاوز هذه الأزمة الفكرية في ضوء رصد الواقع الحضاري للإسلام قديماً وحديثاً، ومن هنا تأتى أهمية الدراسة، والتي تكشف مدى عطاء مالك بن نبي في المسألة الحضارية من خلال بنية الفكر الإسلامي المعاصر، ومن خلال المفاهيم الأصولية والإيمانية التي حدّدها الإسلام من خلال الكتاب والسُنّة.

وعلى ذلك يمكن لنا تقديم مالك بن نبي من خلال اجتهاده الفكري، والذى تكون ضمن الأصالة التي صنعت ضمير هذه الأمة.

وأخيرًا تأتى أهمية هذه الدراسة لتكشف لنا عن أبرز مفكر إسلامي في العصر الحديث عنى بقضية الحضارة بعد أن اعتنى بها ابن خلدون من قبل.

مشكلة الدراسة:

عدم وضوح محاولات تحليل منظور مالك بن نبي، وإسهاماته في البناء الحضاري الإسلامي.

تساؤلات الدراسة:

هناك عدد من التساؤلات وضعها الباحث في مستهل هذه الدراسة، ويمكن إيجازها فيما يلي:

- ما موقف مالك بن نبي من الحضارة ونشأتها؟
- ما مفهوم الثقافة عنده وعلاقتها بالحضارة؟
- ما أسباب ضعف الحضارة الإسلامية؟
- ما مفهوم الحضارة عنده من خلال مؤلفاته المختلفة؟
- ماذا قدم مالك بن نبي من إسهامات مختلفة تساعد في إعادة البناء الحضاري عند المسلمين؟
- ما شروط النهضة في فلسفة مالك بن نبي؟
- ما أسباب الصراع الفكري في البلاد المستعمرة إلى غير ذلك من تساؤلات.

الهدف من الدراسة:

الكشف عن إنجازات مالك بن نبي الحضارية في الفكر والثقافة.

منهج الدراسة:

اقتضت الدراسة أنّ أستعين بمجموعة من المناهج المختلفة؛ منها: المنهج التاريخي، والاستقرائي، والتحليلي والمقارن، وأخيرًا المنهج النقدي.

مصطلحات الدراسة:

وقف الباحث على مجموعة من مصطلحات مالك بن نبي في مؤلفاته المختلفة وهي الحضارة، مشكلة الأفكار، الثقافة، التخلف الحضاري، مشكلات الحضارة، الهوية الإسلامية.

الدراسات السابقة:

وقف الباحث على عدد من الدراسات السابقة في فلسفة وفكر مالك بن نبي، حيث تساهم تلك الدراسات على الوقوف على ما تمّ دراسته حول أفكاره، والكشف عما جاءت به هذه الدراسات من إسهامات قدمها مالك بن نبي، ويمكن إيجاز هذه الدراسات فيما يلي:

1- دراســـــة قام بها سليمان الخطيب (1993) بعنوان: "فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت: تناولت الدراسة عدد من الموضوعات: معرفة العلاقة الكائنة بين الفكر الفلسفي وبين قضية الحضارة، عرض لفلاسفة الحضارة الذين تعرض لهم مالك بن نبي، نظرية الدورة الحضارية مع بيان وجهها التاريخي، أبرز أقيم الدينية والأخلاقية وفق اجتهادات مالك الفكرية، عرض لمصطلح الفعالية في الممارسة الحضارية رؤية مالك حول حضارة الغرب، والدراسة مهمة سوف يستفيد منها الباحث.

2- دراسة قام بها عبدالعالي المتقي بعنوان: "سؤال المنهج في فكر مالك بن نبي من النقد إلى البناء"، صدرت عن جامعة ابن زهير نسخة إلكترونية: تناولت الدراسة المنهج عند مالك من خلال ثلاث محاور أساسية؛ المفاهيم باعتبارها المدخل الأساسي لفهم مقاربة تحليلية، المحور الثاني بعنوان: منهجه في مقاربة مشكلات الحضارة ، المحور الثالث بعنوان: المناهج التي استعملها في مشروعه، والدراسة جيدة، ولكنها لم تقف على موضوع الدراسة.

3- دراسة قام بها سيد دسوقي حسن (2017)، بعنوان: "خواطر حول الفكر الحضاري لمالك بن نبي"، نسخة الكترونية: تناول الباحث في تلك الدراسة شروط النهضة بإيجاز عند مالك بإيجاز، معالم في فكر مالك بن نبي، المعادلة الحضارية، الدورة الحضارية، ومع أهمية الدراسة، إلاّ أنها جاءت في صورة موجزة يغلب عليها الأسلوب الأدبي .

4- دراســـــة قامت بها فرحات وسيلة (2019)، بعنوان: "المفكر الإسلامي مالك بن نبي الجزائري"، الجزائر، جامعة باتنة: تناولت الدراسة حياة وسيرة مالك، إنتاجه الفكري، فكر مالك في مشكلات الحضارة، الدراسة جيدة ولكنها جاءت بصورة موجزة، ومع ذلك سوف يستفيد منها الباحث.

5- دراســـــة قامت بها بختاوى حفيظة (2025)، بعنوان: "الهوية والثقافة عند مالك بن نبي"، الجزائر، جامعة وهران: تناولت الدراسة مفهوم الهوية والثقافة والعلاقة بينهما تفسير مالك بن نبي في أسباب تخلف الحضارة، وأهم المعوقات في ذلك، والدراسة مهمة مع أنها اقتصرت فقط على موضوع الهوية والثقافة والعلاقة بينهما.

6- دراسة قام بها قرار صافية (2019)، بعنوان: "مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي" الجزائر، جامعة محمد خيضر: واضح من خلال عنوان الدراسة أنّ الدراسة اقتصرت فقط على تناول جانب الثقافة عند مالك بن نبي وعلاقتها بالحضارة، والدراسة مهمة سوف يستفيد منها الباحث.

7- دراسة قامت بها أمينة عميروش (2016)، بعنوان: "نظرية الثقافة في فكر مالك بن نبي"، الجزائر، جامعة محمد الصديق بن يحى: تناولت الدراسة أيضًا مشكلة الثقافة وعلاقتها بالحضارة عند مالك بن نبي، والدراسة مهمة سوف يستفيد منها الباحث .

8- دراســـــة قام بها ياسين الورزادي (د.ت)، بعنوان: فلسفة التاريخ عند مالك بن نبي": تناولت الدراسة أسباب تدهور الحضارات عند مالك بن نبي، فلسفة التاريخ عند

مالك بن نبي، من أين يبدأ الإصلاح، والدراسة مهمة، ولكنها لم تقف على موضوع الدراسة.

9- دراسة قامت بها قنديل فاطمة الزهرة، شافع بشرى (2018)، بعنوان: "أولوية الثقافة في نظر مالك بن نبي"، الجزائر: تناولت الدراسة فكر مالك بن نبي في المجتمع العربي، منظور مالك للثقافة، المداخل الكبرى لاستراتيجيات الثقافة، والدراسة مهمة إلاّ أنها تقف عند موضوع الثقافة.

مفاصل الدراسة:

جاء الدراسة في مبحثين، ومقدمة، وخاتمة، تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم أعقبت الخاتمة بقائمة تضمن أهم المصادر والمراجع التي استعنت بها .

المبحث الأول جاء بعنوان: ماهية الحضارة عند مالك بن نبي، وتناولت فيه مفهوم الحضارة عنده من خلال مؤلفاته المختلفة، عوامل تشكيل الحضارة عند مالك بن نبي.

المبحث الثاني جاء بعنوان: أطوار الحضارة وشروطها عند مالك بن نبي، وتناولت فيه: أطوار الحضارة عند مالك بن نبي، شروط بناة الحضارة عند مالك بن نبي ـ وأما الخاتمة فقد دونت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

تمهيد:

يُعدُّ مالك بن نبي من أعلام الفكر الاسلامي العربي في القرن العشرين، ولد في مدينة قسطنطينة شرق الجزائر، وهو يعرف الحضارة من عدة جوانب؛ فهو تارة يعرفها من الجانب البنيوي، مركزاً على بنية الحضارة، وعناصرها وتركيبها، وتارة يعرفها من الجانب الوظيفي مركزاً على وظيفة الحضارة؛ باعتبارها تؤدي دورًا في المجتمع، وتارة يعرفها من جانب غاياتها من حيث أنها غاية الحركة الاجتماعية في التاريخ، لذلك يعتبر مالك بن نبي من أهم الفلاسفة، وأحد علماء الاجتماع بعد ابن خلدون الذين درسوا نشوء الحضارات، ونهو منها، والأمراض التي قد تصيبها من منطلق استطلاعي، إلّا أنه كما لم يعد ابن خلدون ظاهرة في البلاد الإسلامية في زمنه، فإنّ مالك بن نبي قد ناله المصير ذاته؛ وذلك على الرغم من شهرة الرجلين وتداول كتبهما، إلاّ أنّ المؤسسات الرسمية لم تؤول أطروحتيهما في دراسة المجتمعات الإسلامية باهتمام كبير، ولم تسعَ إلى تناول قراءتيهما بالدعم والمراجعة والتبني، ومن هنا فقد توزعت بحوث مالك بن نبي عن الحضارة في العديد من كتبه ومقالاته[1]، التي أطرها بسلسلة مشكلات الحضارة التي شغلت حيزًا كبيرًا من مشروعه الفكري؛ وذلك كما في شروط النهضة، ومشكلة الثقافة، ووجهة العالم الإسلامي، وميلاد مجتمع وآفاق جزائرية وغيرها، معتمداً العمق في التحليل والاستقامة في البحث؛ للوصول

إلى إبداع، أو إيجاد نظرية متكاملة في فهم الحضارة وأسباب نشوئها وكذلك مشكلاتها التي تعترضها فتؤدى إلى أقوالها.

النشأة التاريخية لمفهوم الحضارة:

حظيت الحضارة باهتمام العديد من المفكرين، سواءً كانوا علماء نفس، أو علماء اجتماع، أو علماء انثروبولوجيا، أو علماء لغة، أو علماء دين، أو فلاسفة، كما نجد أنّ عند ابن خلدون في مقدمته والأديب الانجليزي ماثيوارنولد في كتابه: الحضارة والقومي، والكاتب الأمريكي دلبروكسي أدمون في كتابه: الحضارة والاستقلال، وبوركهات في كتابه: تأملات في التاريخ، والمفكر الألماني ماكس نوردو في كتابه: الانحلال، والفيلسوف الألماني شينجلر في كتابه: انحلال الغرب، وفرويد في كتابه: عصر الحضارة، وكاول كروس في كتابه: الأيام الأخيرة للنوع البشري، وجرانت في كتابه: زوال الجنس العظيم في عام 1916م، والفيلسوف كولن ولسون في كتابه: سقوط الحضارة، والفيلسوف الألماني البرت اشيفتسر في كتابه: فلسفة الحضارة، وفيلسوف التاريخ والحضارة أرنولد توينبو في كتابه: الحضارة في الميزان، والفيلسوف هنتجتون في كتابه: صدام الحضارات، لذلك يعتبر مفهوم الحضارة من أكثر المفاهيم صعوبة في التحديد؛ وذلك بفعل التطور الدلالي الذي خطي به عبر التاريخ، ولعل من أهم أسباب الاختلاف في مفهومها يرجع إلى الخلفية الفكرية لصاحب كل مفهوم، والمنظور الذي يقدم من خلال تعريفه، وكذلك تكوينه العلمي وزاده المعرفي، لذلك فقد رأى البعض أنّ العرف جرى على اعتبار أنّ لفظي المدينة والحضارة مترادفين، ولكن العلوم الإنسانية الحديثة تقتصر مصطلح المدينة على المستوى الراقي من حياة المجتمع المادية التي تتمثل في العمران، وتخطيط المدن، وتنظيمها، وتوافر مرافقها، والتنوع، والتفنن في مطالب الحياة الضرورية، والكمالية من: مأكل، ومشرب، وملبس، ومسكن، وترويح للنفس، أمّا الحضارة فهي مصطلح يطلق على النواحي الفكرية والخلقية، والاجتماعية من حياة المجتمع التي تتمثل في العلوم، والآداب، والفنون، ونظم الحكم، ودساتير السلوك والتقاليد، والأخلاق العامة والعقيدة الدينية[2]

ولقد رأى البعض أنّ معنى الحضارة يشمل نتاج العقل، والفكر؛ متمثلاً في الكتب، والصور، والعقائد، والمعارف، والنظم الاجتماعية والسياسية، والمعاني الضخمة الجميلة، والسلوك الحميد، ووسائل النقل، والسفر...الخ، ونشأ السباق الحضاري بين الأمم، وكان من بين المفكرين والفلاسفة الذين شغلوا تفكيرهم بهذه المسألة فلاسفة اليونان الذين يرون أنّ مكتشفات الحضارة كلها ترجع إلى الذكاء الإنساني وحده،

واعترف الفلاسفة اليونان بالتحضر للمصريين القدماء الذين تلقوهم في ميدان التحضر بمراحل متقدمة.

المبحث الأول ـ مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي:

يتكوّن مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي من عدة محاور ترتكز على انسجام الجهود الإنسانية، وتكاملها مع قوانين النهوض المادي والمعنوي، وجملة الشروط الخاصة، والنمو، والازدهار في شتّى المجالات الفكرية، والروحية، والاقتصادية، والمادية في الواقع المعاش، والغاية من تاريخ الإنسان السير إلى الأفضل أشكال الحياة، وتتطلب عملية بناء الحضارة أسس فكرية وجهود في عالمي الأشخاص والأشياء؛ وذلك في صورة برنامج تربوي يهدف لتغيير الإنسان من الداخل وفق شروط معينة ليتمكن من أداء وظيفته الاجتماعية.

وكذلك لم يغفل مالك بن نبي في نقاشه والحضارة عن أهمية الدين في بناء الحضارة، فعده أساس تحريك عجلة التاريخ، ويختار مالك بن نبي في هذا الإطار "الفكرة الدينية" معرفة الحضارة، ونجد تأسيساً لهذا الإطار عند سابقيه كابن خلدون في نظريته عن العصبية، وكذلك أرنولد توينبي في نظرية التحدي والاستجابة، وأنّ العلاقة الروحية بين الله والإنسان تولد الفكرة عند مالك بن نبي فهم العلاقة بين قوة الفكرة الدينية وضعفها أثناء نشوء الحضارة وتطورها وأفولها؛ وذلك في انتقال العقل بسبب قوة الروح من مرحلة الحقول إلى النهوض والفكرة الدينية والمعنوية مثلت الحضارة الإسلامية الدين الإسلامي، ونزول القرآن الكريم، وتغلغل مبادئ القرآن الكريم في نفوس المسلمين.

عوامل تشكيل الحضارة عند مالك بن نبي:

لقد صاغ مالك بن نبي هذه العوامل التي تشكل الحضارة بالمعادلة التالية: ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت، وهذه المعادلة لا تعطي ثمارها إلاّ مركب يدمج هذه العناصر، ويعطيها الغاية، وهو الدين أو الفكرة الدينية أو العنصر الأخلاقي، سواءً كان سماوياً كالإسلام أو عقيدة، وكذلك مبدأ يبلغ عند أصحابه مبلغ الدين، ومن هنا سيتم تقسيم هذا المطلب إلى الفروع التالية:

الفرع الأول ـ الإنسان:

قبل الانتقال إلى دراسة العلاقة بين الإنسان والحضارة، من أنّ هناك أجناساً قادرة على الترقي وصنع الحضارة، وأجناسا أخرى لا تستطيع ذلك. نقف لحظات عند تصوير لمسيرة الحضارة، وانتقال الإنسان من الحالة البدائية إلى الحالة المدنية، وهذا التصور يسهل علينا تتبع موضوع الحركة الحضارية، عند المفكر الفرنسي النابه

"سان سيمون"، وذلك في قوله: "إنّ الإنسان كان أول الأمر أشتاتًا متفرقة، ثم نشأت الأسرة ونشأت الجماعات الإنسانية البدائية، ثم اختراع أو اقتباس أساسيات الاستقرار، وهي الزراعة والانتقال من مرحلة جمع الطعام إلى صناعته، واستخدام النار ثم تنظيم نفسها التنظيم الاجتماعي، وهو التي سماها "سان سيمون" سفح الجبل، والإنسان هو محور التغيير وأداته، ويجب بناء الإنسان القوي بمعرفته لذاته والفرد بصفته عاملاً أوليًا للحضارة له قيمتان؛ الأولى طبيعية، والأخرى اجتماعية، الأولى موجودة في كل فرد في تكوينه البيولوجي تتمثل في استعداده الفطري لاستكمال فطرية وترابه ووقته، أمّا القيمة الثانية هي القيمة المناسبة، والتي يكتسبها من وسطه الاجتماعي في إطاره الاجتماعي لترقية شخصيته وتنمية مواهبه.

الفرع الثاني ـ التراب:

يعتبر التراب من وجهة نظر مالك بن نبي أحد العناصر الثلاثة التي تكون الحضارة، وتوفر المركب الديني، والمقصود بالتراب هنا هو القيمة الاجتماعية والمستمدة من قيمة مالكيه، وعندما تكون الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب عالي القيمة، وعندما تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط؛ وذلك يتمثل على أرض الإسلام بكل أسف بصورة عامة؛ وذلك بسبب تأخر القوم الذين يعيشون عليه وهو ليس رأي مالك بن نبي فقط، بل تعتبر مأساة دامية وهي موت الأرض الخضراء من أهلها وتتركهم يتامى بين يدي الصحراء، وليس لهم من طعام إلاّ بعض أشجار النخيل، وليس لهم من مشرب إلاّ بقية مما ترك الشتاء من مطر، ويرى أنّ سكان الأرض اتخذوا موقف الجبان الضعيف إزاء هذا الغزو، حيث فرّ سكان البدو الرحالة، ولم تبقى لديهم أرض يحرثونها، ولا ماشية يجلبونها، ولم يبقَ لهم سوى الدواب يركبونها فارين بها تأهين حيارة في الصحراء، والمدن الساحلية إلى ترفعهم أو تبتلعهم، وتجعل منهم أناس منبوذين[3].

الفرع الثالث ـ الوقت:

في ساعات الخطر في التاريخ تمتزج قيمة الزمن بغريزة المحافظة على البقاء والزمن يندمج داخل سائر الاطراد العلمي، ومع اكتشاف الظاهرة الكهربائية في نهاية القرن الثامن عشر، والزمن يمثل الركيزة التي يقوم عليها هذا الاطراد، وحينما لا يكون الوقت من أجل الإثراء، وتحميل النعم الفانية عندما يكون لازم للمحافظة على البقاء، وتحقيق الخلود يسمع الناس فجأة صوت الساعات الهاربة، وسيدركون قيمتها التي لا تعوض، ففي هذه الساعات لا تهم الناس الثروة، أو السعادة، أو الألم، وإنّما الساعات

نفسها فيتحدثون عن ساعات العمل والعملة الوحيدة المطلقة التي لا تبطل ولا تسترد، وإذا ضاعت فالعملة الذهبية يمكن أن تضيع ولا تستطيع أي قوة في العالم أن تحطم دقيقة ولا تستبعدها إذا مضت، وإنّ الزمن نهر قديم يعيش فيها كل شعب، والحقل الذي يعمل به، وبتحديد فكرة الزمن يتعدد معنى التأثير والإنتاج، وهو معنى الحياة الحاضرة، وهو مفهوم الزمن الداخل في تكوين الفكرة والنشاط، فالحياة والتاريخ الجامعات للتوقيت كان وما يزال يفوتنا قطارهما فنحن في حاجة ملحة إلى توقيت دقيق، وخطوات واسعة لكى نعوض تأخرنا، ويتم هذا بتحديد المنطقة التي ترويها ساعات معينة من الساعات الأربع والعشرين التي تمر على أرضنا يوميًا[4]

المبحث الثانـــــــــي ـ أطوار الحضارة عند مالك بن نبي وشروطها:

تمهيد:

يرى مالك بن نبي أنّ كل حضارة تمر عبر ثلاث مراحل وهي: مرحلة النهوض، ومرحلة الانعطاف والعقلانية ومرحلة الانحلال والانحطاط.

ومن هنا سيتم تقسيم المبحث الثاني إلى مطلبين اثنين رئيسيين، ويتم من خلالهما بيان ومعرفة أطوار الحضارة عند مالك بن نبي وشروطها، وهي تنقسم إلى ثلاث فروع:

الفرع الأول ـ مرحلة النهوض:

تبدأ ببزوغ فكرة دينية تقوم بتركيب عناصر الحضارة، وتنظم الطاقة الحيوية للأفراد لتثير فيهم الحركة والنشاط، بحيث يتحرر الفرد في هذه المرحلة الصاعدة من هيمنة الغريزة، ويخضع لهيمنة الروح، وفي هذه المرحلة تميل شبكة العلاقات الاجتماعية إلى قمة كثافتها، فيصبح المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه البعض.

الفرع الثاني ـ مرحلة الانعطاف أو العقلانية:

تنعطف فيها الحضارة بسبب المشكلات المادية الناتجة عن توسع المجتمع وتولد منعطفا تكف فيه الروح عن السيطرة المطلقة على الغرائز، ويبدأ عهد العقل، وتمثل هذه المرحلة منعطفًا للعقل، وتنقص في هذه المرحلة الفاعلية الاجتماعية للفكرة الدينية، وإن كانت الحضارة نفسها تبلغ أوجها فتزدهر العلوم والفنون فيها، ولكن بدأ مرض اجتماعي تكن آثاره المحسوسة لم تظهر بعد في إنّ الطبيعة تستعيد سيطرتها على المجتمع والفرد شيئا فشيئًا.

الفرع الثالث ـ مرحلة الانحطاط والانحلال:

حيث لا يعود للفكرة الدينية فيه من وظيفة اجتماعية، وتعود الأشياء كما كانت في مجتمع منحل، وتتفكك شبكة العلاقات الاجتماعية؛ وذلك بانحلال المجتمع إلى ذرات لا روابط بينها، وتنتهي بهذا دورة الحضارة.

ويرى الفيلسوف مالك بن نبي في هذا الصدد أنّ كل الحضارات الإنسانية خضعت لنفس هذا القانون الدوري المتحكم الذي تخضع له الحضارة الإسلامية، ويرى مالك بن نبي أنّ الحضارة تقع بين حدين اثنين وهما: الميلاد، والأفول، ويرى مالك بن نبي أنّ الحضارة تبدأ من النقطة الأولى في خط صاعد، وذلك ليصل إلى النقطة الثانية في خط نازل، وطور انتقالي يتوسط هذين الخطين، وهو طور وسيط وهو الروح وهو طور الحضارة وتوسعها.

شروط الحضارة عند مالك بن نبي:

وهي تنقسم إلى ثلاثة فروع: لقد بيّن "مالك بن نبي" شروط النهضة من خلال ثلاثيته المشهورة، فهي الزاد الأساسي لإرادة التغيير التي لابد منها للرجل الذي يريد أن يتحرك لكي يصبح رجل النهضة، فلا زاد سوى الإنسان، والتراب، والوقت، وإرادته لتلك الحركة، فهذه هي رأس المال المبتدئ، وكل ما عدا ذلك من القصور الشامخات، والجامعات والطائرات، ما هي إلاّ مكتسبات النهضة، وليست عناصر أولية لعملية النهضة، وليس من الضروري ولا من الممكن أن تكون لمجتمع فقير المليارات من الذهب لكي ينهض، وإنما ينهض بالرصيد الذي وضعته العناية الإلهية بين يديه من الإنسان والتراب والوقت. فالإنسان هو محور الفاعلية في حركة النهضة؛ وذلك بتحقيق الخلافة على هذه الأرض مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ...**﴾ [البقرة: 30]، والنهضة رهن بمدى فاعلية الإنسان، وحركته من أجل إنجازها، وليست المادة العاملة على التغيير، بل التركيبة الثلاثية بقيادة الإنسان.

الفرع الأول ــ التوجيه الأخلاقي:

إنّ الأخلاق كظاهرة واقعية في الحياة الإنسانية، لا يمكن تفسيرها تفسيرًا عقليًا، ولعلّ في هذه الحجة الأولى والعملية للدين، فالسلوك الأخلاقي، إمّا أنه لا معنى له، وإمّا أنّ له معنى في وجود الله، وليس هناك اختيار ثالث، فإمّا أن يتم إسقاط الأخلاق؛ كونها كومة من التعصبات، أو أن يتم إدخال في المعادلة قيمة يمكن تسميتها بالخلود، فإذا توافر شرط الحياة الخالدة، وأنّ هناك عالمًا آخر غير هذا العالم، وأنّ الله موجود، بذلك يكون سلوك الإنسان الأخلاقي له معنى، وله مبرر، ويركز "مالك بن نبي" كثيرًا على موضوع الأخلاق فهي دافع من دوافع الحضارة، ويتحدث عن الأخلاق

المطبقة عمليًا، وعن العلاقات المتينة بين أفراد المجتمع، فالمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين كانت لبنة أساسية في بناء المجتمع الإسلامي، وبفقدان الأخلاق تتحول السياسة إلى تهريج ودجل، والمقصود بالأخلاق من الزاوية الاجتماعية، وليس من الناحية الفلسفية، كما أنّ المقصود بالأخلاق في فكر مالك بن نبي هو تحديد "قوة التماسك" اللازمة للأفراد في المجتمع الذي يريد تكوين وحدة تاريخية، وليس المقصود تشريح مبادئ خلقية، وترتبط هذه القوة في أصلها بغريزة "الحياة في جماعة" عند الفرد، والتي تتيح له تكوين القبيلة والعشيرة، والمدينة والأمة، وتستخدم القبائل الموغلة في البداوة هذه الغريزة لكي تتجمع، والمجتمع الذي يتجمع لتكوين حضارة، فإن يستخدم نفس الغريزة، ولكنه يهذبها ويوظفها بروح سامية.

الفرع الثاني ـ التوجيه الجمالـــي:

أمّا الوجه الجمالي فهو مصداق لقول رسول الله -ρ-: «**إنّ الله جميل يحب الجمال**»؛ أي أن يكون عند المسلم حاسة النفور من الأشياء القبيحة، ينفر من عدم النظافة، من الأسمال البالية على طفل لو يوفر له المجتمع العيش الكريم، ويتجلّى الجمال عند مالك بن نبي في الألوان، والأشكال، والحركات التي يقبلها الذوق السليم، ممّا ينعكس إيجابًا على أفكار صاحبه، فيوجهه إلى الشعور بقيمة كرامته فيرقى بسلوكه إلى الفضيلة، وبالعكس، فالمظاهر القبيحة تُسيء إلى فكر متلقيها، وبالتالي إلى أعماله، فالمظهر الجمالي طبيعيًا كان أم فنيًا يُعدُّ سببًا في توجيه الكيان الإنساني إلى الرقي بفكره ووجدانه، فهو إيجابيات البنية النفسية وتوافق المبدأ الأخلاقي السليم، والمبدأ الأخلاقي يعرف بحكم أنه جميل وهو تكريس لمصداقية وفاعلية المبدأ الأخلاقي في المجتمع الذي يسعى لإبداع المفكرين والتوليف بين المبدأ الأخلاقي والمقتضيات الراهنة لذوق الجمالي لتحفيز الأفراد على تطبيقه في المعالم الدينية، ويكون توجيه من الأعلى من القادة سياسة وفكرًا وكبار الأسرة بما يحول التوجيه الجمالي إلى فن التعامل، مع الطبيعة بمعناها الواسع غير مقتصرة على الطبيعة الإنسانية.

الفرع الثالث ـ الفاعلية:

وتحت وطأة الصراعات الأوروبية ينفعل "توينبي" ليقدم فلسفة توطن الإنسان على الاستجابة لمختلف أنواع التحديات التي تواجهه حضاريًا معتبرًا درجة الاستجابة دالة على مدى تقدمه؛ كما تنطلق الفلسفات الوجودية من الوعي الإنساني الذي تدفع الإنسان إلى التوسل للتحرر من شيئيته وعدميته ليخلق ذاته باستمرار لا ينقضي، أو كفلسفة الحياة لـ "برغسون" التي تطالبه بـ"التطور الخلاق" أو كالتيار البراغماتي الذي لقي

انتشارًا واسعًا في العالم، وهو التيار الذي يقيس درجة نجاح الفكرة بمدى فاعليتها في الواقع؛ وكيف لـ "ابن نبي"، والذي اطلع على مختلف تلك الفلسفات ألاّ يتأثر بتلك الوسيلة التي يستغلها أصحابها لإدراك هدف "التغيير"، وهو الطامح مثلهم إليه، وخاصة إلى تغيير "إنسان ما بعد الموحدين" إلى فعّال، بدل مجرد كونه منفعلاً سلبيًا بما يجري حوله، وقضية الفاعلية عند "مالك بن نبي" تندرج ضمن منظومته الفكرية العامة التي حددها في مشكلة الحضارة الشاملة، السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، فمشكلة الحضارة عنده قضية لا تتجزأ، وأي تجزئ لها يقود حتمًا إلى طرح المشكلات طرحًا مخطئًا، ومن ثم يؤدي إلى تحديد وسائل مخطئة للعلاج، ولهذا يعتبر "مالك بن نبي" أنّ العالم الإسلامي أضاع وقتًا طويلاً، وجهدا كبيرًا؛ بسبب عدم التحديد المنهجي الصحيح للمرض الذي يتألم منه منذ قرون عدة، ويرجع ذلك إلى التجزيئية التي عزلت القضايا عن بعضها ونظرت إلى كل واحدة على حدى.

في ختام هذا البحث توصلت إلى مجموعة من النتائج يمكن سردها كما يلي:

1. يرى مالك بن نبي أنه لا يمكن لشعب أن يفهم مشكلة النهوضية ما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تقدمها.

2. يرى مالك بن نبي أنّ الحضارات المعاصرة والماضية والقادمة هي عناصر للملحمة الإنسانية منذ فجر القرون إلى نهاية الزمن.

3. يرى مالك بن نبي أنّ الحضارات هي عبارة عن حلقات لسلسلة واحدة منذ أن هبط آدم على الأرض إلى آخر وريث له فيها.

4. يرى مالك بن نبي أنّ الحضارة مفهوم مركب يتماشى مع الظاهرة الحضارية في نشأتها وتطورها وأفولها.

5. يرى مالك بن نبي أنّ الحضارة في فحواها هي عبارة عن انسجام الجهود الإنسانية مع السنن الإلهية في النهوض المادي والمعنوي في شتّى المجالات الإنسانية والعلمية والدينية.

6. يرى مالك بن نبي أنّ في الحضارة التقدم والارتقاء بالإنسان إلى أفضل أشكال الحياة الممكنة.

7. يرى مالك بن نبي أنّ عملية البناء الحضاري تستدعي أسس يحضرها مالك بن نبي في عالمي الأشخاص والأشياء.

8. يرى مالك بن نبي أنّ الحضارة تحتاج إلى محرك يعطي العملية البنائية قوتها واستمرارها وهو الفكرة الدينية.

9. يرى مالك بن نبي أنّ الفكرة الدينية المنتمية إلى بالضرورة إلى عالم الأفكار هي بمثابة تنسيق شامل يهدف لتغيير الإنسان من الداخل

10. يرى مالك بن نبي ضرورة تغيير الإنسان من الداخل وفق شروط معينة تمكنه من أداء وظيفته الاجتماعية وبناء مجتمع متحضر.

11. يرى مالك بن نبي أنه أي خلل في هذه الشروط التي تمكن الإنسان من أداء وظيفته الاجتماعية في بناء مجتمع متحضر يؤدي طغيان العناصر بعضها على بعض.

12. يرى مالك بن نبي أنّ انزواء الأفكار المحركة للحضارة، وطغيان العناصر يقابلها أفول شمس الحضارة، واستفحال التبعية الفكرية والاستعمارية، وأمراض عديدة في جسد المجتمع وفكره.

13. يرى مالك بن نبي أنّ أهمية الحضارة كبناء إنساني قد أورثته الثقافات المختلفة عبر التاريخ.

14. يرى مالك بن نبي أنّ خصوصية الكيانات الحضارية تساعد الحضارات في تشكيل كيان متميز يساهم في مسيرة الإنسان عبر التاريخ.

15. يرى مالك بن نبي أنّ جملة العوامل المعنوية والمادية اللازمة لتحقيق تقدم الفرد تصبح موضوعية؛ وذلك بأن تتحول إلى سياسة وتشريع يمثلان عالم الأفكار في المجتمع على الصعيد الاجتماعي والأخلاقي تمثيلاً مباشراً.

16. يرى مالك بن نبي أنّ الحضارة تتولد من عالم الأفكار، وتتحول إلى نظام اجتماعي مُشرّع قانونياً وحاكم سياسياً على المجتمع ومؤطر بالضوابط الأخلاقية؛ ضماناً للتوجيه السليم وخلقاً للحوافز الإنمائية والإعمارية في نفسية أفراد المجتمع.

17. يرى مالك بن نبي أنّ الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون وجابر بن حيان وغيرهم من عباقرة المجتمع الإسلامي منعتهم ظروف حضارية معينة، لكنهم لم يمنعوا ظروف هذه الحضارة التحليل الطوباويي معالجة القضايا السياسية بدلاً من معالجة وضعية تاريخية عامة حتمية التحليل الطوباوي للمجتمع.

18. يرى مالك بن نبي أنّ النقطة الجوهرية في فلسفته هي أنه يعالج مشكلة الحضارة، ولا يعالج مشكلة السياسة؛ أي أنه أعطى الأولوية للتغيير الحضاري على التغيير السياسي.

19. يرى مالك بن نبي أنّ الإصلاح يبدأ من الإسلام وحده هو الذي يعيد المسلمين إلى عالم الحضارة الخلاقة المبدعة، ويدخلهم في حلبتها ذلك أنّ الحضارة في جوهرها عبارة عن مجموعة من القيم الثقافية المحققة، وأن مصير الإنسان رهن

ثقافته، والتي يعتبرها مالك بن نبي بمثابة محيط يحيط بالإنسان وإطار يتحرك داخله، وهذه النظرة تأبى التطعيم والتلفيق من عناصر ثقافية أخرى دخيلة.

20. أنّ الوجه الصحيح للتاريخ هو أنه تاريخ حضاري لأجل ذلك؛ فهو مرتبط بالحضارة ومفهوم الحضارة عند مالك بن نبي هو في اعتقاده الراسخ بأنّ مشكلة كل شعب هي في جوهره مشكلة حضارية، وانطلاقاً من هذا الاعتماد الراسخ بأهمية الحضارة وضرورة "فقه" حركتها منذ انطلاقتها إلى أقولها، بذلك أعطى مالك بن نبي تعريف واسع للحضارة يتحدد في توفير مجموع شروط أخلاقية، ومادية تتيح لمجتمع معين أن يقسم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة، وفي كل طور من أطوار نموه.

21. أسس مالك بن نبي مدرسة فكرية قائمة على الذات فهو يحمل مشروعاً فكرياً متميزاً وفلسفة التاريخ تشكل جزءاً منه وفهم الجزء لا يتأتى إلا بفهم الكل؛ وذلك من خلال التطرق إلى أهم المسائل الأساسية التي تشكل في مجموعها معالم المشروع الحضاري لدى المفكر الإسلامي مالك بن نبي.

22. شكّلت المسألة الحضارية المحور المهم في خطاب مالك بن نبي، وأعماله الفكرية التي يجدها تعالج مسألة واحدة تدور حول مشكلة الحضارة، ويرى أنّ مشكلة العالم الإسلامي وأزمته هي أزمة فكرية بالدرجة الأولى، وهي أم الأزمات والمشاكل، فعنها تتفرع إشكالية الاستبداد والفساد السياسي والفساد الخلقي والاجتماعي؛ لأنّ الشعب المنسحب من عالم الأفكار هو خارج دائرة التاريخ ودائرة الحضارة.

23. ميّز مالك بن نبي بشكل دقيق بين الأفكار الميتة والأفكار الحية فالعقيدة الدينية، ونقصد هنا الإسلامية لم تأت إلا بأفكار حية تزرع الحياة في الإنسان، وتهبه القدرة على الإبداع والتركيب وعلى الإنسان التجديد في عالم الأفكار، ولا يكون رهين أفكار خرجت من دائرة الحياة إلى دائرة الموت، ويمكن القول إذا عرفنا تاريخ مجتمع معين، فسنجد أنه كما أنه لديه مقبرة تودعها موتاه، فإنّ لديه مقبرة يستودعها أفكاره الميتة الأفكار التي لم يعد لها دور اجتماعي، وهذا ما دعى له الإسلام، ونصّ عليه القرآن في مواطن عديدة بالدعوة إلى تحطيم الأبائية، والتقليد والتقوقع.

24. ويرى مالك بن نبي أنّ أهم الخصوصيات التي ميزت نشوء الحضارة الإسلامية في أنّ نشوءها السبب فيه الوحي الرباني، بذلك أصبحت حضارة خالدة خلود المبادئ والتعاليم التي تحملها، وتدعو إليها، فجزيرة العرب لم يكن فيها قبل نزول الوحي والقرآن إلاّ شعب بدوي يعيش في صحراء قاحلة من وجدياء يذهب وقته هباء لا ينتفع به لذلك كانت العوامل الثلاثة: الإنسان ـ التراب ـ الوقت راكدة، وخامدة

ومكدسة لا تؤدي دورها في التاريخ حتى إذا ما تجلت الروح بغار حراء، كما تجلت من قبل بالوادي المقدس أو بمياه الأردن - نشأت بين هذه العناصر الثلاثة "الإنسان + التراب + الوقت" المكدسة حضارة جديدة، فكأنما ولادتها كلمة "أقرأ" التي أدهشت النبي الأمي، وأثارت معه وعليه العالم حضارة = إنسان + تراب + وقت

25. من الجلي والواضح أنّ البحث في تفسير التاريخ ليس مجرد ترف علمي، ولكنه من صميم المعرفة العلمية التي لابد منها لتحقيق أي نهضة علميه ومعرفيه وحضارية شاملة؛ لأننا نكشف من خلالها عن السنن والقوانين التي تتحكم في الظواهر التاريخية لأجل ذلك، فنحن مازلنا في حاجة ماسّة إلى تعميق البحث في مجال تفسير التاريخ؛ بوصفه حقلاً معرفيًا يندرج ضمن العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ وذلك من أجل إعادة الريادة للفكر الإسلامي.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــش :

1- مالك بن نبي، مشكلات الحضارة شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل مستقاوي، عبدالصبور شاهر، تقديم: محمد همام، القاهرة، دار الكتاب المصرية للنشر والتوزيع، 2012م.
2- عبدالكريم هلال، مصيونه أمحمد الفاخرة، قراءات في فلسفة الحضارة، بنغازي ليبيا، دار الكتب الوطنية، 2013م، ص41.
3- عبدالقادر حوة، شروط بناء الحضارة وأدوارها في فكر مالك بن نبي، رسالة ماجستير، جامعة البليدة، الجزائر، 2010م، ص15.
4- عبدالقادر حوة، المرجع السابق، ص162-163.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: قائمة المصادر:

1. مالك بن نبي. مشكلات الحضارة شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل مسقاوي، عبدالصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، 1986م.
2. مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته، الجزائر، دار الفكر، 2000م.
3. مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دمشق، دار الفكر، 2002م.
4. مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبدالصبور شاهين، بيروت، دار الفكر، 2000م.

5. مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، بيروت، دار الفكر، 2002م.
6. مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبدالصبور شاهين، بيروت، دار الفكر، 2002م.

ثانياً: المراجع:

1. أمينة عميروش، نظرية الثقافة في فكر مالك بن نبي، الجزائر، جامعة محمد الصديق بن يحيي، 2016م.
2. بختاوى حفيظة، الهوية والثقافة عند مالك بن نبي، الجزائر، جامعة وهران، 2025م.
3. تيد دسوقي حسن، خواطر حول الفكر الحضاري عند مالك بن نبي، نسخة إلكترونية، د.ت.
4. سالم يقوت، مفهوم الظاهرة القرآنية عند مالك بن نبي، مقال منشور، نسخة الكترونية، د.ت.
5. سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، بيروت، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، 1993م.
6. عبدالعالي المتقي، سؤال المنهج في فكر مالك بن نبي من النقد إلى البناء، نسخة إلكترونية، د.ت.
7. عبدالقادر حوة، شروط بناء الحضارة وأطوارها في فكر مالك بن نبي، الجزائر، جامعة الجفلة، 2010م.
8. عبدالكريم هلال، مصيونه أمحمد الفاخري. قراءات في فلسفة الحضارة، ليبيا، دار الكتب الوطنية، 2013م.
9. فرحات وسيلة، المفكر الإسلامي مالك بن نبي، الجزائري، الجزائر، جامعة باتنة، 2019م.
10. قرار صافية، مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي، الجامعة محمد خيضر، 2019م.
11. قنديل فاطمة الزهرة، شافع بشرى، أولوية الثقافة في نظر مالك بن نبي، الجزائر، 2017م.
12. محمد رياض، الإنسان دراسة في النوع والحضارة، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولى، 2014م.
13. ياسين الورزادي، فلسفة التاريخ عند مالك بن نبي، بيروت، أفريقيا الشرقية